

سَلَفَةُ رَأْسِ الْفَيْسِ

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ
بَسِقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتُوضِحَ فَاَلْمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا
لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جُنُوبٍ وَشَمَالِ
تَرَى بَعَرَ الْأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا
وَقِيَعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ
كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا
لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ
وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَىً وَتَجَمَّلِ
وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ
فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمَّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا

وَجَارَتَهَا أُمَّ الرَّبَابِ بِمَا سَلِ

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا

نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَّا الْقَرْنُفُلِ

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً

عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مِخْمَلِي

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ

وَلَا سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَدَارِي مَطِيَّتِي

فِيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمَّلِ

فَظَلَّ الْعَدَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا

وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمُفْتَلِ

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِذْرَ خِذْرَ عُنَيْزَةٍ

فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَيْطُ بِنَا مَعَاً

عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ

فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْحِي زِمَامَهُ

وَلَا تُبْعِدِينِي مِنْ جَنَّاكِ الْمُعَلَّلِ

فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعِ

فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمِ مُحْوَلِ

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ

بَشَقٌّ وَتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحْوَلِ

وَيَوْمًا عَلَى ظَهْرِ الْكَيْبِ تَعَذَّرَتْ

عَلَيَّ وَآلَتْ حَلْفَةً لَمْ تَحَلَّلِ

أَفَاطِمَ مَهَلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ

وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمَلِي

أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حُبَّكَ قَاتِلِي

وَأَنَّكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ

وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ

فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلِ

وَمَا ذَرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي

بِسَهْمِيكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ

وَبَيْضَةِ خِدْرِ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا
تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ
تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا إِلَيْهَا وَمَعَشَرًا
عَلَيَّ حِرَاصًا لَوْ يُسْرُونَ مَقْتَلِي
إِذَا مَا الثَّرِيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضْتُ
تَعَرَّضْتُ أَثْنَاءَ الْوِشَاحِ الْمُفْصَلِ
فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمِ ثِيَابَهَا
لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبِسَةِ الْمُتَفَضَّلِ
فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةٌ
وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي
خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا
عَلَى أَثَرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى
بِنَا بَطْنُ خَبْتِ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ
هَصَرْتُ بِفَوْدِي رَأْسَهَا فَتَمَايَلْتُ
عَلَيَّ هَضِيمَ الْكَشْحِ رِيًّا الْمُخْلَخَلِ

مُهْفَهْفَةٌ بِيَضَاءٍ غَيْرِ مُفَاضَةٍ

تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ

كَبْكُرِ الْمُقَانَاةِ الْبِيَاضِ بِصُفْرَةٍ

غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحَلَّلِ

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي

بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُطْفَلِ

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرَّئِمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ

إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمُعْطَلِ

وَفَرَعٍ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمِ

أَثِيثٍ كَقِنُوقِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثِكِلِ

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْرِرَاتٌ إِلَى الْعُلَا

تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مِثْنَى وَمُرْسَلِ

وَكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالْجَدِيدِ مُخَصَّرِ

وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُدَّلِّ

وَتُضْحِي فِتْيَةُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا

نَعُومُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلِ

وَتَعْطُوا بِرِخْصٍ غَيْرِ شَنْ كَأَنَّهُ

أَسَارِيْعُ ظَبِيٍّ أَوْ مَسَاوِيْكُ إِسْحَلِ

تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا

مَنَارَةٌ مُنْسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ

إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الْحَلِيمُ صَبَابَةً

إِذَا مَا اسْبَكَرَتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمِجْوَلِ

تَسَلَّتْ عَمَائَاتُ الرَّجَالِ عَنِ الصَّبَا

وَلَيْسَ فُؤَادِي عَنِ هَوَاكِ بِمُنْسَلِ

أَلَّا رَبَّ خَصْمٍ فِيكَ أَلْوَى رَدَدْتُهُ

نَصِيحٍ عَلَيَّ تَعْدَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلِ

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُوكَهُ

عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ

وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكُلِّكَ

أَلَّا أَيْهَا اللَّيْلِ الطَّوِيلِ أَلَّا انْجَلِي

بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فِيَا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَانَ نُجُومُهُ

بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ

وَقِرْبَةِ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عِصَامَهَا

عَلَى كَاهِلٍ مَنِّي ذُلُولٍ مُرَحَّلٍ

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ

بِهِ الذُّبُّ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ الْمُعْيَلِ

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى : إِنَّ شَأْنَنَا

قَلِيلُ الْغِنَى إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلِ

كِلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ

وَمَنْ يَحْتَرِثُ حَرِثِي وَحَرِثَكَ يَهْزَلِ

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا

كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

كَمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ

كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزَّلِ

عَلَى الذَّبَلِ جِيَّاشٍ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ

إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيَّةٌ غَلِيٌّ مِرْجَلِ

مَسْحٍ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى

أَثْرَنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ

يُزَلُّ الْغُلَامُ الْخِفَّ عَنْ صَهْوَاتِهِ

وَيُلَوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرَهُ

تَتَابَعُ كَفَيْهِ بِخَيْطِ مُوَصَّلِ

لَهُ أَيُّطَلَا ظَبِيٍّ وَسَاقَا نَعَامَةٍ

وَأِرْحَاءُ سَرَحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَنْفُلِ

ضَلِيْعٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ

بِضَافٍ فُوقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ

كَأَنَّ عَلَى الْمُتَنِينِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى

مَدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَلَايَةَ حَنْظَلِ

كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَّاتِ بِنَحْرِهِ

عُصَارَةٌ حِنَاءٍ بِشَيْبِ مِرْجَلِ

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نَعَاجَهُ
عَذَارَى دَوَارٍ فِي مَلَاءٍ مُذَبَّلِ
فَأَدْبَرْنَ كَالْجِزْعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهُ
بَجِيدٍ مُعَمِّ فِي الْعَشِيرَةِ مُخْوَلِ
فَأَلْحَقْنَا بِالْمَهَادِيَاتِ وَدُونَهُ
جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تُزَيَّلِ
فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ
دِرَاكًا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ
فَظَلَّ طُهَاهُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجِ
صَفِيفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلِ
وَرُحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ
مَتَى تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسْفَلِ
فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرَجُهُ وَلِجَامُهُ
وَبَاتَ بَعِينِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ
أَصَاحِ تَرَى بَرَقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ
كَلَمَعَ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ

أَمَالَ السَّلِيْطَ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِ

قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِحِ

وَبَيْنَ الْعُذَيْبِ بَعْدَمَا مُتَأَمَّلِ

عَلَى قَطَنِ بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ

وَأَيْسَرُهُ عَلَى السُّتَارِ فَيَذُبَلِ

فَأُضْحَى يَسُحُّ الْمَاءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ

يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَنْهَبِلِ

وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ نَفْيَانِهِ

فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعُصْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلِ

وَتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِدْعَ نَخْلَةٍ

وَلَا أُطْمَأَ إِلَّا مَشِيدًا بِجِنْدَلِ

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَائِنِ وَبَلِهِ

كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلِ

كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيْمِرِ غُدْوَةٌ

مِنَ السَّيْلِ وَالْأَغْثَاءِ فَلَكَّةٌ مِغْزَلِ

وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَيْطِ بَعَاةً
نُزُولَ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحَمَّلِ
كَأَنَّ مَكَائِيَّ الْجِوَاءِ غُدْبَةً
صُبْحَنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيقِ مُفْلَقِ
كَأَنَّ السَّبَاعَ فِيهِ غَرَقَى عَشِيَّةً
بَارُجَائِهِ الْقُصُوَى أَنْابِيَشُ عُنْصُلِ